محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: التطويبات

المحاضرة الثالثة:

الطوبى الأولى

مُقدّم المحاضرة: القسّ أ. ت. فرغنست

The John Knox Institute
of Higher Education

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠٢١ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.
الرجاء زيارة موقنا: *www.johnknoxinstitute.org*

القسّ أ. ت. فيرغنست هو خادم الإنجيل في كنيسة كارترتون المُصلَحة، نيوزيلندا.
www.rcnz.org

وحدة

التطويبات

١٠ محاضرات

القسّ أ. ت. فيرجونست

١. مقدّمة عامّة عن العظة على الجبل .....

٢. لمحة عامّة عن التطويبات.....

٣. **الطوبى الأولى** .....

٤. الطوبى الثانية.....

٥. الطوبى الثالثة.....

٦. الطوبى الرابعة .....

٧. الطوبى الخامسة .....

٨. الطوبى السادسة .....

٩. الطوبى السابعة.....

١٠. الطوبى الثامنة.....

المحاضرة ٣

الطوبى الأولى

أصدقائي الأعزاء، وصلنا أخيرًا إلى نقطة الانطلاق والغوص عميقًا في تطويبات يسوع. نُصلّي أنْ يفتحَ اللهُ أعينَنا على حقّه وعَمَلِه فينا.

التطويبات شائعة في كلّ أنحاء الكتاب المقدّس. يوجد منها حوالي الثلاثين، وهي عبارات تُحدّدُ بوضوح مَنْ هم الأشخاص المطوّبون بحسب معايير الله. ستلاحظ أنّ أيًا من هذه التطويبات الثلاثين ترتبط بممتلكات أو مناصبَ في الحياة، بل ترتبط كلّها بصفات أو بعلاقات مُعينة أو بامتلاك معرفة مُعيّنة. ما نتعلّمه هو أنّ الله يُعلن أنّك مبارك من خلال من أنت، ومن ترتبط به، وليس من خلال أيّ أشياء خارجيّة مثل المناصب أو الممتلكات، سواء كانت ماديّة أو اجتماعيّة. دعونا لا نغفل أبدًا عن هذه الحقيقة المريحة والمطمئنة وهي أنّ مَلِكَ المملكة، يسوع المسيح، هو الذي يُعلن أنّك مطوّب في هذه المقاطع الكتابيّة. هذا يعني أنّه إن كنت تمتلك في داخلك هذه الهُويّة الداخليّة، هذه الهُويّة الجديدة الموصوفة في التطويبات، فإنّ يسوع يعلنك مطوّبًا سبع مرات أكثر ممّا تستطيع السماء والأرض أنْ تمنحَك إيّاه. لا تسمح لنفسك بأن تُحرَم من هذه الراحة والتشجيع العظيمَين. لا تسمح لأحد أنْ يخدعَك بالقول إنّك تحتاج إلى شيء أكثر من هذا – أنت تحتاج إلى همسة إلهيّة خاصّة أو رؤيةٍ إلهيّة لامتلاك هذه الراحة لتكون لك. صحيح أنّنا، إلى حدّ ما، نحتاج إلى الروح القدس لتمكيننا من قراءة أدلّة نِعمة الله فينا، لأنّ بداخلنا الكثير ممّا يحدث غير ما تتحدّث عنه هذه التطويبات. لا يقول يسوع في أيّ مكان إنّنا نحتاج إلى أكثر من الولادة الجديدة حتّى نعرف أنّنا مطوّبون. أرجو أيضًا تجنّبَ خطأ تأسيس رجائك على ما تراه في نفسك، لأنّه عندما نفحص كلّ الأفكار الواردة في قائمة التطويبات هذه، سترى العديد من أوجه القصور في نفسك. افعل بعد ذلك بالضبط ما تفعلُه، أو ما يجب أن تفعلَه، كالأطفال الصغار. فَهُمْ حتى ولو فشلوا بسبب صِغر سنّهم أو عدم نضجهم أو إهمالهم، نستمرّ بتشجيعهم

وبنيانهم وتذكيرهم بمدى تميّزهم، أو نصحّهم ونرشدَهم ونساعدهم على النموّ، لكنّنا لا نتخلّصَ منهم كما لو أنّهم غير صالحين لمجرّد أنّهم فشلوا هنا وهناك. لا ينبغي لنا أنْ نفعلَ ذلك مع الذين هم للمسيح. في "الطوبى"، نسمع صوت يسوع المسيح نفسه. هو يُعلن أنّك مباركٌ من الله. إنْ كنت كذلك، فآمن وثق به وتبنّى ما يعلنُه. هذا، وهذا فقط ما يدعونا للفرح، حتّى لو رفضَك الآخرون أو سخروا منك، أو، كما هو مكتوب في نهايتها: حتّى لو اضطهدوكَ.

"طوبى لكم" – من الصعب أن نختصر تعريف كلمة "طوبى" في كلمة واحدة. هناء، سعادة، امتياز، بَرَكة، إنّها تُشير إلى أمر يفوق أي شيء يمكننا أنْ نمتلكَه في هذه الحياة. مثلًا، إنِ امتلكتَ العالمَ كلَّه في يدِك، فأنت تحملُ أقلّ من حبّة رمل واحدة مقارنةً بالكون بأكمله من حولنا. وحتّى هذه المقارنة فاشلة تمامًا، لأنّه حتّى لو ربحتَ الكون بأكمله، فلن تشعرَ بالرضا، ولن تربحْه إلى الأبد، لأنّنا جميعًا نعلم أنّنا سنموت وسنتخلّى عن كلّ ما نملكه في هذه الحياة. من المهمّ أنْ يقولَ يسوع عنّا: مباركين. هذه القضايا المتعلّقة بشخصيّاتنا هي أدلّة على خليقة جديدة، وحياة روحيّة لها بُعد أبديّ، ولا نهاية لها، لأنّها لن تتلاشى أبدًا.

لنتأمل في الطوبى الأولى: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِٱلرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ." يُعلن يسوع أنّك مبارك إنْ كنتَ مسكينًا بالروح. ما معنى أن تكون مسكينًا بالروح؟ ثانيًا، لماذا ستكون مباركًا إنْ كنتَ مسكينًا بالروح؟ ما معنى أنْ تكون مسكينًا بالروح؟ فلنتأمّل أوّلًا في هذه الكلمات. أنْ تكونَ مسكينًا بالروح ليس أنْ تكون فقيرًا. هذه الطوبى لا علاقة لها بالفقر الماديّ أو الجسديّ أو الاجتماعيّ. وأيّ تفسير يميل إلى هذا الاتّجاه، يُحوّل تعاليم يسوع في التطويبات وفي عظة الجبل، إلى إنجيل اجتماعيّ. بالطبع، تعاليم يسوع في العهدين القديم والجديد تقول الكثير عن الفقراء والمضطهدين، وكيف ينبغي لنا كمسيحيّين أنْ نخدمَهم، وأنْ نقدّمَ لهم رعايةَ الله ومحبّتَه. إنّ إهمالَ رعاية الفقراء شرٌّ مؤلم، ومع ذلك، فإنّ هذه الطوبى لا تتعامل مع هذا النوع من الفقر. إنّها تتعلّق بالفقر بالروح، أو بالموقف الروحيّ للقلب فيما يتعلّق بفقرنا الشخصيّ. أنْ تكونَ فقيرًا بالروح ليس أيضًا مثل الفقر الروحيّ.

كلّنا نولد فقراء روحيًّا نتيجة لما نقرأه في سفر التكوين ٣، أي سقوطِنا من بدايتنا المجيدة. لذلك نحن الآن فقراء روحيًّا بمعنى أنّنا عاجزون. عاجزون عن العودة الى ما كنّا عليه. عاجزون عن التغيير من الحالة التي نحن فيها الآن، إلى الحالة التي تحدّث عنها الله في سفر التكوين ١ و٢. عندما تقرأ سفر التكوين ٦: ٥، فمن المذهل حقًا ما يقوله الله: "وَرَأَى ٱلرَّبُّ أَنَّ شَرَّ ٱلْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي ٱلْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ." هذا تصريح قاتم وكئيب جدًّا. هذه الحقيقة نفسُها هي حقيقة العهد الجديد، الفساد الروحيّ الذي أكّدت عليه رومية ٣: ١٠–١٨. يكتب بولس هناك، كما يستنتج من كلّ التعاليم في العهد القديم، "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ ٱللهَ. ٱلْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ". قد يبدو هذا متطرّفًا، ولكن هذا ما يؤكّده الكتاب المقدّس مرارًا وتكرارًا. نحن جميعًا فقراء روحيًّا، ولكن يسوع لا يقول إنّ هذا هو الفقر الروحيّ، لأنّنا بالعادة لا نرى هذا في أنفسنا. نحن نشعر بالفخر، ويمكن أنْ نشعرَ بالرضا عن أنفسنا، أو بالغرور والكبرياء في أنفسنا. نشعر بالثراء والقدرة، ونشعر بالقوّة، ونشعر بالكفاءة كوننا صالحين أمام الله والناس. هذا لأنّنا ننظر إلى أنفسنا بشكلٍ سطحيّ للغاية. في لوقا ١٨، نقرأ عن مثال لفرّيسيّ وقفَ أمام الله، وكان يتكلّم بفخر عن نفسه، حول مدى صلاحِه واستحقاقه، ومدى استحقاقه للخلاص. ربّما لا نُعلنُ ذلك كما فعل، لكن هذا هو موقفنا الداخليّ. في الداخل، لا نشعر أنّنا مُختلفون عنه. لنكن صادقين مع أنفسنا. نحن ببساطة نفكّر في العالم من حولنا. أنْ نكون مساكين أو فقراء روحيًّا ليس بأيّ حال من الأحوال ما يعلّمنا يسوع في الطوبى الأولى. ماذا إذن؟ الفقراء بالروح هو عندما نتمتّع بعقليّة تزداد وعيًا بفقرنا الروحيّ.

ولكي نرى هذا الفقر الروحيّ، نحن بحاجة إلى نقطة مرجعيّة نقارن بها. إنّها الإصحاحان الأوّلان من الكتاب المقدّس، سفر التكوين ١ و٢. ودراسة هذه الحقائق بالمقارنة مع ما نحن عليه الآن كبشر معًا هي وسيلة الروح لإيصالنا إلى هذه العقليّة: "الفقراء بالروح." أصدقائي، لقد سقطنا بعمق من مجدنا الأصليّ، من نعيمنا الأصليّ، أو من سعادتنا أو فرحنا. إن فتحتَ سفر التكوين ١ و٢ وقرأتهما، سوف تقرأ عن حقيقة جميلة. أوّلًا، وَضَعنا الله في مكان مثالي ورائع للعيش، حيث عشنا في أجمل شَرِكَة وأكثرها إرضاءً للنفس مع الله ومع بعضنا البعض كبشر، ومع كلّ الطبيعة من

حولنا. لم يكن شيء في غير مكانه. لا مرض، ولا مشاعر سيّئة، لا شيء. مكان بلا أشواك وحسك، بلا مرض وحزن، ومكان بلا خوف وعيوب، واقع لا يمكننا تخيّله. بالإضافة إلى هذا المكان، كنّا تحفةَ قوّة الله المُبدعة وحكمته. يخبرنا سفر التكوين ١ أنّنا خُلِقنا لنعكس صورة الله. في ماذا؟ في الغالب، في المحبّة المُخلِصة، في القداسة، أو عدم وجود الخطيّة في حياتِنا لله ولبعضنا البعض وللطبيعة من حولنا. كنّا هياكل حيّة ومُتحرّكة، مُكرَّسة وممتلئة بالله. على عكس الآن، كنّا أغنياء روحيًّا آنذاك. ماذا يعني هذا؟ كانوا قادرين أنْ يخدموا إلهنا وخالقنا في خدمة المحبّة، بكلّ كياننا، بكلّ قوتنا، بكلّ قدرتنا. كنّا قادرين على خدمة القريب بصدق، في إنكار ذاتيّ كامل، في حُبٍّ. كنّا قادرين على إدارة الأرض، والاستكشاف، والاختراع، والتطوير، والهندسة من دون أنْ نشوّه سمعةَ خالِقنا. لم يكن هناك أي خطأ فينا على الإطلاق آنذاك. لم يكن هناك مَيْل إلى الخطيّة. لم تكن هناك معركة مع إغراءات الأنانيّة، ولم تكن هناك هذه التخيّلات القذرة المحرجة التي نجرؤ على مشاركتها اليوم. لم يكن هناك ضعف داخليّ أو عيوب من شأنها أنْ تقودنا إلى التعثّر على الرغم من أفضل جهودنا. كنّا أغنياء روحيًّا. على النقيض من ذلك اليوم، نحن الآن فقراء بشكل جذريّ. الكلمة اليونانيّة التي يستخدمها يسوع للمسكين هي شخص مُفلِس، بلا مال على الإطلاق، ليس فقط فقيرًا، بل لا يملك شيئًا. طوبى للمساكين بالروح، للمفلسين. ما مدى صحّة هذا الوصف روحيًّا؟ نحن في الواقع معوزون ومحتاجون تمامًا من الناحية الروحيّة. نفتقر إلى كلّ صفة في أنفسنا لنكون على حقّ ونفعل الصواب أمام عينَي الله الذي يرى كلّ شيء وفقًا لمعاييره. لا يمكننا أنْ نحبَّ الله بكلّ قلوبنا، وكلّ عقولنا، وكلّ قوّتنا، وكلّ ذرة من كياننا، في كلّ الأوقات وفي كلّ المواقف. لا نحبّ، لا يمكننا أنْ نحبَّ كلّ قريب كما نحبّ أنفسَنا بنفس الدرجة التي أحبّ بها يسوع حتّى أعداءَه. نحن نفتقد هذه القدرة على الحبّ. نحن نفقد أيضًا القدرة على تصحيح الأمور بيننا وبين الله. ببساطة لم يعد لدينا البرّ. كلّ ما نحاول أنْ نكونَه أو نفعلَه أمام الله يفشل في سدِّ الفجوة، حيث يفشل كلّ شيء في الوصول إلى مجد الله وإشباع مطالب قداسته وعدله.

قبل أنْ نتطرّقَ إلى النصف الثاني من هذه الآية، لنتوقّف لحظة. تخيّل أنّك جالس في عيادة طبيب ليتمّ فحصَك بواسطة الأشعة السينيّة. يقرأ لك التقرير المدمّر للفحص. يقول لك: "لستَ مُصابًا بالسرطان فقط، بل أنت مُصاب به

في كلّ عضو، وفي كلّ عضلة، وفي كلّ عصب، وفي كلّ أنحاء جلدك." بينما تحاول استيعاب هذه الحقيقة المدمّرة في ذهنك، وبينما تشعر بدليلها في جسدك، تخيّل أنّ طبيبَك يقول لك: " يا صديقي، أنتَ رجل مبارك. مبروك." ألن تنظر إليه مرتبكًا بعض الشيء؟ ألن تشعر بالحاجة إلى الخروج من العيادة؟ ألن ترفع صوتك على الأقلّ رافضًا تهنئته؟ هذا هو جوهر ما فعله يسوع. "طوبى لكم أيها المساكين بالروح"، وليس فقط المساكين بالروح، بل أيضًا الحزانى، والودعاء والجياع. يدعوك يسوع مباركًا عندما تختبر الفقر الروحي، وعندما تحزن وتشعر بالذنب، عندما تشعر بجوع روحيّ مؤلم. ما الهدف من ذلك؟ لماذا يقول عن مثل هذا "مباركًا"؟ سننتقل الآن إلى فكرتنا الثانية.

لماذا أنتَ مُبارك إنْ شعرتَ أنّك مسكين بالروح؟ لنكن واضحين: أنْ تكون مسكينًا بالروح، أو أن تكون فقيرًا بالروح، أو أنْ تكتشفَ هذا الإفلاس الروحيّ، ليس نعمةً في حدّ ذاته. يسوع لا يُمجّدُ الفقر. إنّه لا يتلذّذ بالمشاعر السلبيّة. لم يقل أيًّا من ذلك؛ أرجو أنْ تضع ذلك في اعتبارك في كلّ هذه العبارات. لم يقل أنّك مبارك عندما تشعر بالفقر بالروح أو تشعر بالحزن أو تشعر بالجوع. نعم، تنعكس المشاعر في هذه التطويبات الأربع الأولى، لكنّها ليست حلوة، وليست مثيرة، وليست مريحة. إنْ كنتَ ستفهم هذه العبارات فقط من منظور المشاعر، فسيكون من المستحيل فهم سبب تسمية مثل هؤلاء الأشخاص بالطوباويّين. "طوبى للمساكين بالروح." يعلن أنّك مُبارك إنْ كنت فقيرًا بالروح، نتيجة لفهم متزايد لإفلاسك الروحيّ والأخلاقيّ. يوجد ثلاثة أسباب كونك مُباركًا.

السببُ الأوّل هو أنّك تحملُ دليلًا واحدًا على عمل خلاص الروح القدس في قلبك. هذه الطوبى التي ننالها نحن المساكين بالروح ليست ثمرة تأمّل ذاتي. وليست ثمرة اكتئاب عقليّ، وليست مجرّد سلبيّة في الذهن. ورغم أنّ كلّ ما سبق يمكن أنْ يجلبَ شعورًا بالحاجة أو الفقر والحزن، إلّا أنّ أيًّا منها لا يجلب شعورًا بالحزن والأسى على الخطايا التي ارتكبتها، أو الوداعة أمام الله والآخرين، أو الجوع والعطش لبرّ يسوع المسيح. هذه الطوبى التي ننالها نحن المساكين بالروح، هي ثمرة خدمة خلاص الروح القدس. فبدون عمله الشخصيّ فينا، نبقى عُميانًا روحيًّا عن ذواتنا. ونظلّ غير مُهتمّين بالحالة التي نحن فيها، وغير متأثّرين. ومع ذلك، كثمرة للمسة الخلاص من الله، يَعِدُ قلوبَنا

ببركاتٍ أعظم ممّا يمكن للبشريّة أو الأرض أنْ تمنحَنا إيّاه، أو تمدّنا به. إنّها تجهيز الله لنا لما سيأتي بعد ذلك. وهذا هو السبب الأوّل الذي يجعلك مُباركًا.

السبب الثاني لهذه الطوبى، هو أنّه من خلال هذا الاكتشاف، يقودنا الروح القدس إلى أقدام يسوع المسيح، مَلِكِ الملكوت. فبينما كان يسوع المسيح يكرز بهذه التطويبات، تأثّر به كثيرًا العديد من المستمعين. ستلاحظ أنّه في كلّ مرّة كان يعظ بها، كان العديد يأتون للاستماع. ونقرأ في نهاية العظة: "فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ ٱلْأَقْوَالَ بُهِتَتِ ٱلْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَٱلْكَتَبَةِ." كان لدى يسوع العديد من المعجبين الذين تبعوه لأيّام وأسابيع وأشهر، ومع ذلك، في نهاية خدمته هذه، ابتعد عنه هؤلاء المعجبون، وأصبح العدد يقلّ أكثر فأكثر.

وأخيرًا رفضوه. لماذا؟ لأنّهم لم يقبلوا القصدَ الرئيسيّ من خدمة يسوع الروحيّة. أرادَ كثيرون منه ببساطة أنْ يتخلّصَ من الأنظمة القمعيّة. أرادوا منه أنْ يتولّى القيادة ويشفيهم من الأمراض الجسديّة. أرادوا منه أنْ يجعل الجميع أصحّاء وأثرياء، كما في أيّام داود وسليمان. لم تكن هذه هي خدمة يسوع الرئيسيّة. لم يكن هذا القصد من خدمته على الأرض. أعلن الملاك ليوسف، في متى ١: ٢١، عن مجيء يسوع: "وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ". من أخطائهم، ومن عدم إيمانهم، ومن كلّ الشرّ الذي فينا والذي يسيطر علينا ويحيط بنا. إنّ خدمة الروح القدس، يا أصدقائي، هي تمجيد يسوع المسيح. الهدف هو أنْ نجعلَ شخص يسوع لا يقاوم في قلوبنا كطبيبٍ لأرواحنا، وكمن يستطيع أنْ يسدَّ الفجوة بيننا وبين خالقنا بكفّارة دمه، وكمن يستطيع أنْ يمنحَنا الطاعةَ الكاملة والبرّ الذي نحتاجه. هل نقدر أن نقف في حضرة الله القدير القدّوس من دون برّ؟ إنّنا مفلسون روحيًّا.

ولكي يتحقّق هذا، يجعلنا الروح القدس ندركُ حاجتَنا الروحيّة الحقيقيّة، وحاجتنا إلى فقرِنا الجذريّ، وعدم قدرتنا على التعويض عن أخطائنا، وإرضاء مطالب الله. عمله التحضيريّ أنْ يقودَنا إلى أقدام يسوع المسيح وصليبِه. هذا الوعي المؤلم بفقرنا الروحيّ يجعلك تجتهد في طلبِه. وسيجعلك تجتهد لتسأل: "كيف يمكنني أنْ أخلصَ من هذا الواقع؟" هذا هو الموقف الذي من خلاله يُحضّرنا الروح القدس لنكون مُستعدّين للتقدّم إلى يسوع المسيح كتدبير من أبِ السماء

والأرض لتلبية احتياجانا.

أخيرًا، السبب الثالث لتنال هذه الطوبى عندما تكون مسكينًا بالروح هو الوعد بأنّ "لهم ملكوت السماوات." نحن نتكلّم عن حقيقة مذهلة لهؤلاء الأشخاص المُعدمين روحيًّا والمفلسين والمتواضعين والمحطّمين بسبب حالتهم الهالكة والمسكينة، وغير القادرين على تصحيحها! يقول: "ملكوت السماوات هو لكَ!" وهذا يعني أنّ كلّ ما موجود في ملكوت السماوات هو لك بالفعل، وسيبقى كذلك إلى الأبد. بعبارة أخرى، هؤلاء المساكين بالروح ليسوا مساكين أبدًا، لأنّ كلَّ البركات، وكل الثروات، وكلّ الأمان، وكلّ الرزق، والوعود، ومحتوى نعمة فداء الله وملكوته المستقبليّ هو بالفعل لهم.

في سفر صموئيل الثاني ٩، نقرأ عن الملك داود. أحضر ابن يوناثان المشلول والمسكين إلى قصره، وقال له عندما وصل إلى قصره: "لَا تَخَفْ. فَإِنِّي لَأَعْمَلَنَّ مَعَكَ مَعْرُوفًا مِنْ أَجْلِ يُونَاثَانَ أَبِيكَ، وَأَرُدُّ لَكَ كُلَّ حُقُولِ شَاوُلَ أَبِيكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ خُبْزًا عَلَى مَائِدَتِي دَائِمًا." عند سماع ذلك، انحنى مفيبوشث أمام الملك مذهولًا. ضع هذه الصورة في ذهنك. كلّ إنسان مولود من جديد يُشبه مفيبوشث المشلول الذي أخذه الملك داود. على الرغم من أنك ستكون في بعض النواحي مثل مفيبوشث، إلّا أنّك ستظل مسكينًا روحيًّا في تقديرك لنفسك طوال هذه الحياة. ومع ذلك، أنت جزء من ملكوت يسوع السماويّ، وتعيش على نفقة السماء. كما كتب بولس: "لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا عُلْوَ وَلَا عُمْقَ، وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ" أنْ تطردَك من ملكوت السماوات. لذلك، طوبى لك.

في العودة إلى ما تعلّمناه اليوم، سأذكر ملاحظتَيْن أخيرتَيْن حول الطوبى الأولى. أوّلًا، الحياة الروحيّة، الحياة الروحيّة الحقيقيّة، مصحوبة دائمًا بإدانة وإحساس متواضع بفقرنا الروحيّ. تُعلّمنا خدمةُ الروح المُخلِّصة ما قاله جون نيوتن، تاجر العبيد قديمًا، المُخلّص بالنعمة، ومؤلِّف كتاب: "النعمة المذهلة": "فيما يتعلّق بخلاصي، ليس لديّ شيء، أنا لا شيء، لا أستطيع أنْ أفعلَ شيئًا، لا أستطيع تغيير شيء، لا أستطيع أنْ أعطي شيئًا." وأنا أضيف إلى ما قاله: ومع ذلك لديّ كلّ شيء في المسيح. هذه الحالة المستمرّة من الفقر الروحيّ هي ما اختبره الرسول بولس أيضًا عندما قال: "وَيْحِي أَنَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا ٱلْمَوْتِ؟" هذا حالنا طوال حياتنا، ولكن ليس في الآخرة.

ثانيًا، إنّ البَرَكة التي يعلنها يسوع لا تقاسُ بالمشاعر أو الخُبرات. بينما الفقر الروحيّ ليس شعورًا لطيفًا، إلّا أنّه الطريقة التي يستخدمها الله لجعل أرواحنا تبحث عن العلاج في يسوع المسيح. لا أحد منّا يُحبّ الألم . الألم الجسديّ . ولكن، رغمَ أنّ الألمَ الجسديّ ليس نعمة في حدّ ذاته، إلّا أنّه نعمة، لأنّه يُنبّهنا إلى وجود مشكلة خطيرة في جسدك تحتاج إلى الاهتمام. فكّر في ذلك عندما تفكّر في هذه التطويبة الأولى. وكما علّق ماثيو هنري: "إنّ هذا الفقر في الروح هو موقف كريم للنفس، حيث نُفرّغ من الذات من أجل أنْ نمتلئ بالمسيح." لذلك، هذه القناعة بأنّنا لا شيء ولا نملك شيئًا أمام إلهنا القدّوس، هو جانب أساسيّ من جوانب كلّ نموّ روحيّ.

ليباركِ الله هذا الشرح عن التطويبة الأولى. بعد ذلك، سنكون مُستعدّين للانتقال إلى التطويبة التالية: "طوبى للحزانى." شكرًا لكم، وليبارككم الله ويجعلكم بَرَكة للآخرين.